تلخيصات لمادة نقد الفلسفة منقاة من كتاب
"موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الفلاسفة وآرائهم"
مع إضافات وتوضيحات يسيرة

تعريف الفلسفة لغةً:

أصلها (فيلوسوفيا)، وهي كلمة يونانية مكونة من جزأين: (سوفيا)، ومعناها: الحكمة، و (فيلو)، ومعناها: محبة أو طلب أو إرادة أو مصاحبة، فيكون معنى (فيلوسوفيا): محبة الحكمة وطلبها..

أما في الاصطلاح:

فهي الوقوف على حقائق الأشياء كلها قدر الإمكان، ودراسة المبادئ الأُولى، التي تفسر المعرفة تفسيرا عقليا، وتؤدي إلى العلم الكلي الشامل بأنواع العلوم وارتباطاتها فيما بينها، معتمدةً على مناهج التفكير المنطقي بأنواعها وأطوارها: الرياضي، والصوري، والشكّي، والجدلي، والوضعي، والتجريبي، وغيرها، تتسع تارة لتشمل جميع العلوم، وتنحسر تارة أخرى إلى علمٍ بعينه.

فالفلسفة إذن لا تختص بعلم دون آخر، بل هي منهج في البحث والمعرفة، قائمٌ على إثارة الأسئلة والإشكالات والشكوك حول المعارف بأنواعها؛ بغرض التأكد من صحتها وجدواها، وتفسير عللها وغاياتها، ثم محاولة الإجابة عن كل ذلك، ومن هنا وصفت الفلسفة بأنها أُمّ العلوم.

نشأة الفلسفة

نشأت الفلسفة منذ بدأ الإنسان يسأل أسئلة كبرى عن نفسه والكون حوله: ما هو؟ وكيف؟ ولماذا؟ وإلى أين؟ .. إلخ، ثم حاول الإجابة على هذه الأسئلة باجتهادات مختلفة: متنوعة ومتضادة، تبعا لتفاوت عقول المتفلسفين. ولما كانت النبوات قد وفت بجواب هذه الأسئلة، استغنى أتباعها عن الفلسفة تماما، واعتبروها حجابا دون نور النبوة، ومن هنا كانت الفلسفة مبدئيا مشاقةً لسبيل الرسل والمؤمنين؛ فالفلسفة قائمة على الاجتهاد العقلي المطلق للوصول إلى الحقيقة في كل شيء بلا حدود، غيرَ مَعْنِيّةٍ بإيجاد الأجوبة بقدر إثارة الأسئلة، أما الإيمان الذي جاء به الرسالات الإلهية فقائم على التسليم التام والإذعان للوحي، ولو على سبيل التفويض وعدم الإدراك: {آمنا به كل من عند ربنا}.

والمشهور تاريخيا أن الفلسفة نشأت وازدهرت في بلاد اليونان، ويقال: إنها ولدت في الشرق: الصين والهند وفارس ومصر، ثم انتقلت إلى اليونان وازدهرت هناك، ثم انبثقت إلى غيرهم.

وقد كان افتتاح العصر الرسمي للفلسفة اليونانية على يد طاليس الملطي (توفي نحو ٥٤٦ ق م) ، ثم مرت بثلاثة أدوار:

أولا– دور **النشوء**، وبداية محاولات تفسير العالم والتأسيس للفلسفة النظرية، ثم مجادلات سقراط والسوفسطائيين، التي مهدت لوضع مناهج الجدل وأسس الأخلاق والفلسفة العملية.

ثانيا– دور **النضوج** على يد أفلاطون وأرسطو.

ثالثا- دور **الذبول**، حيث الشرقيون، وظهور الرواقية والأبيقورية والأفلاطونية المحدثة.

ثم أعيد بعث الفلسفة اليونانية من جديد، على يد الفلاسفة المنتسبين للإسلام، وأشهرهم: الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد، وابن طفيل، وابن باجه، وعنهم انتقلت عبر الأندلس وغيرها إلى أوروبا.

أهم المدارس الفلسفية

١-**الأيونية** (الطبيعية): وتنسب إلى (أيونيا): إقليم في غرب آسيا الصغرى (تركيا)، وقد بدأت بطاليس (وفاته ٥٤٦ ق م)، ثم تلميذه أنكسيمندريس ٥٤٧ ق م، الذي يقال إنه أول من دون فلسفته، واستخدم المزولة (الساعة الشمسية)، وصنع خريطة للعالم، وقد اهتمت هذه المدرسة بتفسير العالم بلغة المادة والقوى الطبيعية.

٢-**الفيثاغورية** (أصحاب العدد): نسبة إلى فيثاغورس ٤٩٧ ق م، وقد كانت مدرسة فلسفية أخلاقية زهدية، ومن مبادئها أن العدد أساس كل شيء وجوهره، فكل شيء عندهم مرتبط بالرياضيات، وبالتالي يمكن

التنبؤ به وقياسه، حتى قدسوا العدد (١٠) باعتباره الكمال!، وقالوا أيضا بحدوث العالم، وتناسخ الأرواح.

٣-**الأيلية؛** نسبة إلى مدينة إيطالية تسمى (أيليا)، ومؤسسها: بارمنيدس (وفاته٤٨٠ ق م)، ومن آرائه: لا يوجد شيء من لا شيء، والعدم لا ينقلب وجودا. ومن رجال هذه المدرسة: زينون الأيلي الذي يعتبر واضع منهج الجدل، وهو غير زينون الرواقي الآتي، (وفاته ٤٣٠ ق م)، وأهم مبادئ هذه المدرسة وحدة الوجود والطبيعة وسكونه! خلافا للمدرسة الطبيعية الأيونية. وممن تأثر بها أمبادوقليس (وفاته٤٣٠ ق م) الذي أسست فلسفته لنظرية العناصر الأربعة، وأنكساغورس (وفاته ٤٢٨ ق م) القائل إن ذرات المواد أزلية ولا متناهية في الصغر، وإن الأرض مسطحة!. ومن رجال هذه المدرسة: الفيلسوف الضاحك ديمقريطس (وفاته ٣٦١ ق م) صاحب النظرية الذرية.

٤-**السوفسطائيون:** أصل معنى سوفيستوس في اليونانية: معلم البيان، ولما كانت صناعة الجدل في اليونان على أيدي السوفسطائيين تجارة رائجة، تستعمل لقلب الحقائق وتزييفها، لحق الذم هذا المصطلح في عهد سقراط أفلاطون، فصار معناه: الحكمة المموهة! والمغالطة، ولم يكن للسوفسطائيين عناية بالرياضيات ولا الطبيعيات، وإنما كان جل اهتمامهم بالعلوم التي تخدم الجدل، كالبلاغة والتاريخ، وقد قسمهم العلماء إلى ثلاثة أقسام: عنادية ينكرون الحقائق، وعندية يقولون

بنسبيتها، ولاأدرية شكاك، ومن أشهر رجالات هذه المدرسة: بروتاغوراس الذي جعل الإنسان مقياس كل شيء، وتبعا لذلك فالحقيقة نسبية، وكان في موضوع الربوبية لا أدريا!، (وفاته٤١٠ ق م)، وغورغياس الذي كان عناديا ينكر الحقائق!، (وفاته ٣٧٥ ق م).

٥-**المدرسة التصويرية المثالية:** سميت بذلك لقولها بأن حقيقة الكون أفكار وصور عقلية، وأن العقل مصدر المعرفة، نقيض الفلسفة المادية، وتمثل هذه المدرسة العصر الذهبي للفلسفة اليونانية، وقد صبت اهتمامها بالمقام الأول على نظرية المعرفة، والأخلاق، أما الطبيعيات عندها فثانوية، وقد بدأت بسقراط (وفاته ٣٩٩ ق م)، القائل: إن المعرفة الحقيقية هي معرفة الماهيات الكلية العقلية، ثم أفلاطون، الذي جعل للماهيات الكلية العقلية وجودا مستقلا مفارقا للجزئيات، ثم أرسطو، الذي يجعل الوجود الحقيقي للصورة الكلية العقلية دون الهيولى (المادة)، لكنه لا يوافق أفلاطون في المفارقة، بل يجعل الصورة والهيولى متصلتين.

٦-**الأبيقورية** (اللذّية): نسبة إلى أبيقور (وفاته٢٧٠ ق م)، الذي أشبه سقراط في جعْل الأخلاق محورا وغاية لفلسفته، وقد اعتبر الخير الأسمى في متعة التحرر من الألم والاحتياج العاطفي، وطريقها ممارسة الفضيلة، كما اعتبر الإدراك الحسي أساس المعرفة الأوحد، لكنه اعتبر الخوف من الآلهة والآخرة عقبة في طريق السعادة، فكان بذلك زنديق

زمانه، وأشبه أرسطو في اعتبار الآلهة لا تتدخل في شؤون البشر، وبذلك اكتسبت الأبيقورية عداوة النصرانية.

٧-**الرواقية:** أسسها زينون الرواقي المتوفى (٢٦٤ ق م)، سميت بذلك لأنه أنشأها في رواق، وهي معاصرة للأبيقورية ومعارضة لها، فهي ترى الكون بتدبير عقل إلهي يسمونه **(لوغوس)**، تسري قوته في المادة وتنفذ من خلالها، فيتجلى اللوغوس في كل شيء!.

٨-**الأفلاطونية المحدَثة:** فلسفة دينية أو دين فلسفي نشأ في الإسكندرية أوائل القرن الثالث الميلادي، معتمدا على أصول أفلاطونية معدلة، وعناصر من مذاهب شتى، تهيمن عليها الروح العقلية اليونانية، ومن أبرز رجالاتها: نومينوس (عاش في القرن الثاني الميلادي)، أفلوطين (وفاته٢٧٠م)، وهو المؤسس الحقيقي لها، وأهم مبادئها: نظرية الفيض والصدور؛ أي أن الوجود فائض عن الله صادر عنه صدورا ضروريا كالإشعاع، ابتداء بالعقل الكلي، ثم النفس الكلية، ثم العالم، ثم النفوس الجزئية. وينكر أصحاب هذه المدرسة المعرفة العقلية، ويعوّلون على التجربة الصوفية والكشف والذوق. ومن رجالها فورفوريوس الصوري (وفاته ٣٠٥م)، الذي كتب "إيساغوجي"، مدخلا لمنطق أرسطو، وفي أواخر عهد هذه المدرسة إبان الفتح الإسلامي اتجهت للتصالح مع النصرانية، والتأليف بين الدين والفلسفة، على يد آخر رجالاتها في الإسكندرية: اسطفن. وقد كان لبقايا هذه المدرسة الممتزجة بالنصرانية

دور كبير في نقل وترجمة تراث الفلسفة اليونانية القديمة بمدارسها المختلفة عن طريق مساكنيهم من نصارى الشام، وعنهم وبهم تعرف وتأثر بعض المسلمين على خليط من الفلسفة اليونانية والرومانية المشوبة بمبادئ اليهودية والنصرانية المحرفة. ومن أشهر شخصيات تلك الحقبة: يعقوب الرهاوي (وفاته٧٠٨م)، في أنطاكية، ويوحنا بن ماسويه في جنديسابور من بلاد فارس، أوائل القرن الثالث الهجري، الذي جعله المأمون سنة ٢١٥هجرية رئيسا لبيت الحكمة.

أبرز فلاسفة اليونان

١-**أفلاطون** بن أرسطن (٤٢٧ – ٣٤٧ ق م): آخر المتقدمين الأساطين، عرف بالتوحيد والحكمة، لازم سقراط ثماني سنين، ودافع عنه، وسخط لمقتله، فهجر أثينا مدة ثم عاد إليها وأنشأ أول أكاديمية في أوروبا، تخرج منها مشاهير الفلسفة على رأسهم أرسطو.

يعسر فهم فلسفته لعدم تصريحه بها مباشرة، وإنما بثها في شكل محاورات، واعتمد طريقة الخطابين: خطاب سري للخاصة الأتباع، وخطاب جهري للعامة الرعاع.

ومن أهم أفكاره الفلسفية:

- الفلسفة هي معرفة العموميات والضروريات وعلائقها وماهياتها، وتنقسم إلى جدليات وطبيعيات وأخلاقيات.
- خصائص العقل ثلاث: إحساسات متغيرة مشخصة، ومدركات متغيرة مجردة، وأفكار تمثل الماهيات الحقيقية الكلية لأصول الأشياء، وهي مصدر العلوم، وهي عالم مستقل متصل بالله، وهي القوالب التي عليها أوجد الأشياء. وهذا ما عرف بعد ذلك بالمثل الأفلاطونية. أما المادة عنده فأصل متغير ناقص فانٍ لا شكل له ولا صورة، يزدوج بتأثير الله مع المثل فينشأ جوهر روح العالم، ثم تتجزأ هذه الروح إلى أرواح الناس والآلهة!.

- للعالم مبدع أزلي واجب بذاته عالم، أبدع العقل الأول، ومنه النفس الكلية، ثم منهما العنصر!، لكن هل يعد هذا من أفلاطون قول بحدوث العالم؟ هذا ما زعمه المتكلمون، وأنكره النشّار.
- الروح باقية، وسجنها فانٍ، وهو الجسد.
- الفضيلة عمل الخير المحض، ودستور الأخلاق: التخلق بأخلاق الإله!.
- أحسن أشكال الحكم حكم الفرد الصالح؛ فهو أقدر على معالجة المتغيرات من القانون الثابت. والفرد هو الوحدة الأساسية للمجتمع.
- الناس ثلاثة: مشرعون، وجنود، وصنّاع، أما العبيد فبهائم!.
- النفوس ثلاثة: شهوية وغضبية وعاقلة. وذكر أنه يجعل للروح ثلاثة أجزاء: العقل والنفس والرغبة.

أهم مؤلفاته:

وصلت جميعا، لكن دخلها النحْل (التزوير)، والمقطوع بنسبته إليه ٢٤ محاورة من ٣٥، ومن أشهرها: الدفاع عن سقراط، "السياسة" أو "الجمهورية"، "النواميس" أو "القوانين"، "فيدون" في النفس، "طيماوس" وهو اسم تلميذه الذي كتبه له، وتضمن كتابين: الروحاني، في ترتيب العوالم العقلية: الربوبية، العقل، النفس، والطبيعي في تركيب عالم الطبيعة.

٢-**أرسطو** بن نيقوماخس (٣٨٤ – ٣٤٧ ق م): ومعنى اسمه: تام الفضيلة، برع في الطب وغلبت عليه الفلسفة، وهو أول من قال بقدم العالم، وكان وثنيا. استقدمه فيليب المقدوني ليكون مربيا لابنه الإسكندر، فكان مستشاره بعد توليه الملك، عاد إلى أثينا سنة ٣٣٥ ق م وأنشأ بها مدرسة في ملعب رياضي يدعى لوقيون، وكان يدرّس تلاميذه وهو يسير في ممشى الملعب فسموا المشائين.

ومن أهم أفكاره:

– شمول الفلسفة لجميع فروع المعرفة.

– قسّم العلم إلى نظري وعملي، فالنظري يتعلق بالوجود من ثلاثة وجوه:

١– باعتباره متحركا محسوسا وهو الطبيعي. ٢– باعتبار مقداره وعدده وهو الرياضي. ٣– باعتبار إطلاقه وهو ما بعد الطبيعة. أما العملي فمتعلق بأعمال الإنسان من ثلاثة جوانب: ١– الجانب الشخصي، وهو الأخلاق. ٢– الجانب الأسري، وهو تدبير المنزل. ٣– جانب الدولة، وهو السياسة.

أما المنطق فجعله قسما مستقلا ولم يدخله في النظري؛ لأنه ذهني وليس وجوديا، وتسمى مجموعة كتبه في المنطق: "الأورغانون"، ومعناها في اليونانية: الآلة.

- المعرفة الحقيقية هي العلم بالعلل؛ فهي أساس المعرفة.
- الفكرة الرئيسية في مذهبه هي فكرة تقسيم الوجود إلى الهيولى الحسي الجزئي، التي هي المادة الموجودة خارج الأذهان، وإلى الصورة العقلية الكلية، وهذا أصل فكرة الجوهر عنده، وفكرة الجوهر أساس علم ما بعد الطبيعة ثم الطبيعة؛ أما ما بعد الطبيعة: فالصورة العقلية هي الماهية الحقيقية للأشياء، ثم الصورة النهائية لكل الماهيات هي الله، فهو صورة الصور!. والصورة عنده شيء روحي، وحياتها هي الفكْر، فتكون حياة صورة الصور هي الفكر المطلق.

  وأما في الطبيعة: فالصورة هي الكمال؛ بمعنى أنها غاية الحركة!.
- أثبت محركا أول غير متحرك، أزليا أبديا، وهو عقل ومعقول، وتعقله إنما هو لذاته!.
- يرى قدم العالم والحركة.
- الطبيعة عنده مبدأ أول، وعلة أولى ذاتية لحركة ذاتية وسكون ذاتي وتغير ذاتي، فهي عنده تحولات ذاتية متتابعة من المادة إلى الصورة وبالعكس!، وبنى على ذلك إنكار التدبير الإلهي للأحداث الجزئية في العالم، فالإله عنده لا يعتني ولا يتعقل سوى ذاته!.

- قسّم العالم قسمين: قسما سالما من الكون والفساد هو ما فوق فلك القمر، والثاني عالم الكون والفساد، وهو ما تحت فلك القمر، أي الأرض وما حولها!.
- النفس هي كمال الجسم الطبيعي الحي بالقوة والاغتذاء، وهي واحدة، خلافا لأفلاطون، وإنما يقع التمايز والاختلاف في وظائفها.
- السعادة هي لذة تحصيل الكمالات الطبيعية.
- الوحدة الرئيسية للمجتمع هي الأسرة، خلافا لأفلاطون، والإنسان سياسي مدني اجتماعي بطبعه.

مؤلفاته:

مصنفات شبابه ضاعت، وبقيت مصنفات كهولته، وهي مذكرات، منها جمهورية ومنها خاصة، وبعضها لم يثبت، ومن أشهر ما صحت نسبته:

- "العبارة"، في القضايا.
- "المقولات"، وهي عنده عشر؛ الجوهر وتسعة أعراض: الكم، الكيف، الإضافة، المكان، الزمان، الوضع، المِلك، الفعل، الانفعال، مثلوا لها بالبيت:

زيد١ الطويل٢ الأسود٣ ابن مالكِ٤ في داره٥ بالأمس٦ كان يتكي٧

في يده سيف٨ نضاه٩ فانتضى١٠ فهذه عشر مقولات سُوى

- "السماع الطبيعي"، في علم الطبيعة والحركة الزمان والمكان.
- في النفس، ويتعلق بالحياة وأشكالها.
- "ما بعد الطبيعة"، أو "الإلهيات" أو "الحروف"، وهو مقالات أشهرها: "مقالة اللام"، تكلم فيها عن عقل الله وتنزهه عن أن يكون عاقلا لغيره؛ فغيره ناقص متغير!.
- "الأخلاق"، أهداه إلى ابنه نيقوماخوس.

٣-**أفلوطين** (٢٠٥ – ٢٧٠م): ولد في ليقوبوليس (أسيوط)، ثم قصد الإسكندرية ودرس أحد عشر عاما على أمونيوس السقاص (ت٢٥٠م) الذي قيل إنه اعتنق المسيحية.

فلسفته:

- غاية الفلسفة الإرشاد إلى طريق الفناء والاتحاد بالإله.
- واجب الوجود لا عقلٌ ولا معقول، ولا جوهر ولا عرَض، ولا مريد، إنما هو خير، وكونه خيرا هو عين ذاته، وليس عرضا قائما به؛ حتى لا يلزم التكثر فيه!.
- الموجودات صدرت عن واجب الوجود بطريق الفيض والإشعاع النوراني، في سلسلة بدأت بالعقل الكلي ثم النفس الكلية ثم العالم ثم النفوس الجزئية!.

- إدراك النفس الإنسانية يبدأ بالإحساس ثم النظر ثم الوجد الذي يمثل الرجوع من الكثرة إلى الوحدة المطلقة.
- المادة مبدأ الشر والظلام؛ لأنها تمثل أقصى درجات السلب والنقص.

أهم مؤلفاته: ست رسائل تغلب عليها الرمزية والغموض، والوعظ الديني، سميت بالتساعيات لتقسيم كل منها إلى تسعة أقسام. وهي في الإنسان والعالم المحسوس والعقل والوجود الدائم وغير ذلك.

أبرز فلاسفة الإسلام

وهم امتداد لمدرسة أرسطو، متعصبون له، شارحون ومضيفون، خلطوا فلسفته بالإسلام.

١-**أبو نصر الفارابي،** (٢٥٧ – ٣٣٩ هـ): محمد بن محمد بن طرخان التركي، وفاراب ولاية في تخوم بلاد الترك، لقب بالمعلم الثاني؛ بعد أرسطو!، لكثرة تفسيره كتبه. تلمذ في بغداد للمترجِم الفيلسوف النِسطوري متى بن يونس القنائي (ت٣٢٨هـ)، واتصل بسيف الدولة، وتوفي بدمشق.

فلسفته: خليط من أفلاطون وأرسطو وأفلوطين ومشركي الصابئة.
- حاول التوفيق بين آراء أفلاطون وأرسطو؛ درءً للخلاف بينهما.

- استدل على واجب الوجود بدليل الوجوب والإمكان، وهو عنده: أزلي، عقل معقول عاقل، خير محض، برهان كل شيء وعلته، لا مادة له، واحد بسيط صفاته عين ذاته، وهي فيه معنى واحد وذات واحدة وجوهر واحد غير منقسم!.
- استمد نظرية العقول العشرة من نظرية الفيض عند أفلوطين.
- رتب النفوس على مراتب الوجود؛ فللعالم نفس، ولكل سماء نفس، وللإنسان والحيوان والنبات. وميز بين السماوية والناطقة وغيرها، وجعل النفس الإنسانية جوهرا مكمِّلا للجسم الطبيعي بالحياة. واعتبر المعرفة طريق الخير الأقصى.
- في الأخلاق: السعادة هي الغاية للفرد والمجتمع، وطريقها التصوف العقلي لا الجسدي.
- في السياسة وافق أفلاطون في تفضيل الفيلسوف المستبد.

مؤلفاته: كثيرة، ومعظمها مفقود، ومنها: "الألفاظ المستعملة في المنطق"، "شرح كتاب أرسطو في العبارة"، "الجمع بين آراء الحكيمين" يقصد أفلاطون وأرسطو، "إحصاء العلوم وترتيبها"، "عيون المسائل" في ما بعد الطبيعة، "رسالة في الحروف وأسماء المقولات"، "المدينة الفاضلة"، "السياسات المدنية"، "معاني العقل"، "شرح رسالة زينون الكبير" يقصد الأيلي.

٢-**ابن سينا:** أبو علي، الحسين بن عبدالله بن علي، (٣٧٥ – ٤٢٨هـ). الإسماعيلي أباً، درس أولا على متفلسف يدعى أبا عبدالله الناتلي! ثم

اشتغل بتعليم نفسه من الكتب الفلسفية والطبية، وتيسرت له مطالعة مكتبة نوح بن منصور سلطان بخارى بعد أن شارك في علاجه.

فلسفته: إنتاجه هو الأوسع، ويغطي معظم فروع الفلسفة، وتسوده المشّائية.

- المنطق عنده أداة للفلسفة، ولم يضف على منطق أرسطو شيئا يذكر، وغالب جهوده نقل وشرح.
- الفلسفة عنده إما نظرية تشمل الطبيعيات والرياضيات والإلهيات، وإما عملية تشمل الأخلاق والسياسة وتدبير المنزل، واهتمامه بالأولى.
- الفلسفة عنده هي استكمال النفس بمعرفة الحقائق قدر الطاقة.
- العلم الطبيعي متعلق بتغيرات الأجسام حركةً وسكوناً، في مادتها الموجودة في الأعيان خارج الأذهان، والصورة العقلية الذهنية تبع لما في الخارج.
- وافق أرسطو على أن النفس هي كمال الجسم بالقوة والاغتذاء، لكنه لم يلتزم مثله بتفسير الكمال بأنه صورة الجسم ومبدأ أفعاله الحيوية، فلا توجد النفس بدونه، بل جعل كمالها أعمّ من ذلك، وهو كونها ممكنة المفارقة للبدن كما هي الطبيعة المعقولة للجواهر العقلية، فلا يلزم إذا كانت كل صورة كمالا أن يكون كل كمال صورة، والنفس حال مفارقتها البدن هي كمال لا صورة، فلا تنحل بمفارقة البدن، والبدن يفسد بمفارقتها.
- تكثّر النفس راجع إلى كثرة أبدانها لا إلى ماهيتها، فهي واحدة النوع كثيرة العدد.

- النفس خالدة لا تفسد بفساد البدن؛ لأنه ليس علة لها، وإن كانت حادثة معه.
- خلافا للفيثاغورية أنكر تناسخ الأرواح؛ لأن لكل روح بدنا معينا تحدث معه وتختص به، وتناسخ الأرواح يعني انتقالها إلى بدن جديد إلى جوار الروح الأصلية التي خصصت له، ولا معنى لتعدد الأرواح في بدن واحد؛ لأن الأخرى ستكون معطلة. وغير خافٍ ضعف دليله؛ لأنه مبني على الجزم بأن كل بدن مختص بروح مستقلة جديدة، والقائلون بالتناسخ لا يسلمون بهذا، بل يجيزون تعدد الأبدان لنفس واحدة، وكان يكفي في رد باطلهم أنه قول على الله بغير علم، مخالف لما أخبر به الوحي المبين.
- وافق أرسطو في أن العلم الإلهي هو البحث في الوجود المطلق وأحواله ولواحقه ومبادئه.
- استدل على الربوبية بطريقين: الأول دليل الوجوب والإمكان، كالفارابي، وزاد عليه بتقسيم واجب الوجود إلى ذاتي وهو الله، وغير ذاتي كالاحتراق مع النار (حتمية المعلول مع العلة)!. والثاني: الحدس بلا أساس منطقي.
- الصفات لا تحمل على واجب الوجود إلا بالعروض، بمعنى أنها أمر عارض من خلال تأمله في ذاته وتعقّله لها، وإلا فهو واحد من كل وجه، خير وكمال محض، عقل وعاقل ومعقول، عاشق ومعشوق ولذيذ وملتذ!.

- يرى أن تقدمّ الله تعالى على العالم إنما هو بالذات والعلّية لا بالزمان؛ لأن المعلول مقارن لعلته حتما كما قرر أرسطو، واعتبر كون العالم من لوازم وجود الله تعالى إبداعا، محاولا التوفيق بين الفلاسفة والمتكلمين في مسألة قدم العالم وحدوثه، فالعالم عنده مبدَع وليس حادثا.
- ميّز بين الإدراك الحسي المتعلق بالجزئيات، والإدراك العقلي المتعلق بالكليات، وبنى على ذلك تنزيه الله عن العلم بالجزئيات؛ لأنه عنده عقل محض فيتنزه علمه عن التعلق بالحسّيّات المتغيرة، ومع ذلك زعم أن لا يعزب عن علمه مثقال ذرة؛ لأنه يعلم الجزئيات بنوع كلي!.
- تبعا للمدرسة المشّائية ردد نظرية الفيض والصدور والعقول العشرة التي قال بها من قبلُ أفلوطينُ ورددها الفارابي.
- كلامه في التصوف كلام دارس، لا ممارسٍ مجربٍ كالفارابي؛ فحياة ابن سينا حياة لهو وملذات حسية.

مؤلفاته: كثيرة جدا، وبعضها بالفارسية، وأهمها:

- "الشفاء": أربعة أقسام: المنطق، الرياضيات، الطبيعيات، الإلهيات. واختصره في "النجاة".
- "الإشارات والتنبيهات": آخر مصنفاته، لخص فيه أبواب المنطق ومسائل الحكمة.
- "الحكمة المشرقية"، أو "منطق المشرقيين"، "عيون الحكمة"، "القانون" في الطب، "الأضحوية" في المعاد، ورسائل كثيرة.

٣-**ابن رشد** القرطبي، أبو الوليد، محمد بن أحمد، الطبيب، قاضي القضاة لسلطان الموحدين يوسف بن عبدالمؤمن، ثم لابنه يعقوب، عاش ابن رشد ما بين (٥٢٠ – ٥٩٥هـ): ويلقّب بالحفيد؛ تمييزا له عن أبيه وجده الفقيهين المالكيين. اشتغل بتلخيص كتب أرسطو وشرحها، ما أثار الفقهاء والقضاة عليه حتى كفروه وحرموا كتبه، فنفي إلى قرية يهودية بقرب قرطبة، وأحرقت كتبه، وعُمّم بإحراق كتب الفلسفة عدا الطب والحساب، ثم رضي عنه السلطان وقربه. وأقام بمَرّاكُشَ إلى وفاته.

فلسفته: مزيج من أرسطو والأفلاطونية المحدثة، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

- تعصب لأرسطو ومنطقه حتى جعل السعادة بمقدار معرفته.
- اشتغل بالتوفيق بين الدين والفلسفة، واعتبر الفلاسفة أعرف بحقائق الدين وتأويلاته، وتبنى فكرة الخطابين في الدين: خطاب الخاصة وعليه الحقائق، وخطاب العامة وعليه المجازات.
- دافع عن الفلاسفة في المسائل الثلاث التي كُفّروا بسبب إنكارهم لها، وهي: حدوث العالم، وعلم الله بالجزئيات، والبعث الجسماني؛ زاعما أن الذين كفّروهم لم يفهموا مقاصدهم:

فأما **إنكار حدوث العالم** فاحتج على المتكلمين بأن اجتهاد الفلاسفة فيه اعتمادا على مقرراتهم العقلية ليس بأقل إقناعا مما يقرره المتكلمون في

الإلهيات من نفي التجسيم وتأويل الصفات الإلهية الواردة في الوحي اعتمادا على مقرراتهم العقلية.

وأما **إنكار علم الله بالجزئيات** فزعم أن مراد الفلاسفة تنزيه علم الله عن الحدوث والتغير والمعلولية الملازمة للعلم بالجزئيات الحادثة، نظير ما يحدث في علم الإنسان من زيادة وتجدد وتغير تبعا لتجدد الموجودات وتغيرها، أما العلم القديم فلم ينكروا قط إحاطته بكل شيء؛ وذلك أنه عندهم علة وجود كل شيء، فكيف يفوته شيء؟! وعلى هذا فالفلاسفة عنده لم يصفوا الله بما يلزم منه الجهل كما زعم المتكلمون.

وأما **إنكار حشر الأجساد** فزعم أن المادة قديمة، وأن ذرّات الأجساد مشتركة على مر الزمان وتتابع الحياة والموت، فقد يُخلق جسدٌ جديد من ذرات أجساد سابقة متحللة، فيمتنع بعث أجساد بمادة مستقلة مخصوصة، وعليه فالبعث رُوحاني، وما في الوحي من ذكر نعيم الأجساد وعذابها ما هو إلا رموز ومجازات لا حقائق لها، وإنما المقصود بها الروح، كحال نعيم البرزخ وعذابه!. والصحيح الذي دل عليه الوحي مجانب للقولين؛ فإن البعث يكون بخلق جديد، وليس بذات الأجساد التي مات عليها الناس؛ فإن الإنسان إنسان بروحه وصورة جسده، لا ذراتِه المكوِّنةِ له؛ فإنها متغيرة عبر حياته حتى قبل موته، كما هو حال شعره وظفره، فكذلك بقية بدنه، فإذا بُعث أعطي بدنا جديدا، لكن دلت السنة على أنه غالبا يبقى منه عَجْب الذنب، وهو آخر فقرات ظهره المسمى العصعص، فينبت منه كالنبتة من

النواة، وإنما قلنا غالبا لأن من الأجساد ما يفنى بالكلية فلا يبقى منه حتى عجب الذنب.

- نقد نظرية الصدور عند الفارابي وابن سينا، ورفض مقولة (الواحد لا يصدر عنه إلا واحد)؛ لأنها قائمة على أساس قياس الغائب على الشاهد، وتابع المشّائين في تجويز صدور الكثرة عن الواحد، من جهة اختلاف المواد والصور والآلات والبعد والقرب من الفاعل.
- تابع أرسطو في إثبات عقول الأفلاك.
- العقل الهيولي عنده مجرد من لواحق المادة، وظيفته إدراك الصور، فيصبح عقلا بالفعل، فيتصل بالعقل الفعال بالعلم، لا بالعمل كما في التصوف.

مؤلفاته: متنوعة، منها ما هو من تأليفه، ومنها شروح وتلخيصات لأفلاطون وأرسطو وفورفوريوس، وأهمها:

- "تهافت التهافت"، رد على الغزالي، ودفاع عن الفلاسفة.
- "فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال"، لفّق فيه بين الدين والفلسفة.
- "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، وبيان ما وقع فيها بسبب التأويل من الشبه المزيّفة والبدع المُضلّة"، انتقد فيه إفساد المتكلمين عقائدَ العامة بسلوكهم طريق التأويل، واعتمادِهم في إثبات الربوبية على بدعة الجواهر والأعراض، وعرض فيه الطريقة القرآنية في إثبات الربوبية من خلال دليلي الخلق والعناية.

- "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، في الفقه المقارن، تميز بذكر أسباب الخلاف.
- "الكليات في الطب".
- "جوامع سياسة أفلاطون"، "تلخيص الخطابة"، "تلخيص مدخل فرفوريوس"، [وهو المسمى باليونانية "إيساغوجي"، ومعناها في اليونانية: المدخل، وضعه فرفوريوس الصوري، (وهو من أبرز ممثلي الأفلاطونية المحدثة، حياته ما بين ٢٣٤- ٣٠٥م) ليكون مدخلا لتوضيح كلام أرسطو] .
- "مختصر المجسطي"، وهو كتاب في الفلك القديم، وضعه بطليموس الإسكندري (١٠٠-١٦٠م)، وبناه على مركزية الأرض للكون، وأن الأفلاك تدور حولها، ولابن الهيثم (ت٤٣٠هـ) استدراكات عليه في كتابه: "الشكوك على بطليموس"، لكنها للأسف لم تتناول نظرية مركزية الأرض!.

موقف السلف من الفلسفة والفلاسفة

أغنى الله المؤمنين في معرفة الحق بالوحي المبين، وبهدي الأنبياء والمرسلين، وأكمل لهم دينهم، وأتم عليهم نعمته، وأمرهم بالتزام هذه النعمة، وحذرهم من التفرق والاختلاف، فمضى السلف الأوائل على ذلك، حتى ظهرت بوادر التفريط في هذه النعمة في أوائل البدع والمحدثات التي مهدت لظهور الفرق والمذاهب غيرِ الملتزمة بما كان عليه الأوائل من لزوم النعمة التامة في اتباع المرسلين والتزام هدي الوحي المبين، وكان من أعظم أسباب نشأة هذه الفرق والمذاهب ما فُتن به بعض الخلفاء من ترجمة تراث الفلاسفة اليونان الوثنيين؛ مغترا بما احتوى من علوم طبيعية دنيوية يحتاجها الناس في دنياهم، ولم يحاذر

ما فيها من المسالك الفلسفية العقلية المحضة، القائمة على إثارة الأسئلة والشكوك والاعتراضات الهادمة بطبيعتها للإيمان القائم على التسليم المحض للوحي، لكن أئمة السلف وعلماءهم فطنوا مبكرا لهذا الخطر العظيم، فهبوا في وجهه محذرين ومنذرين.

أقسام الناس تجاه التراث الفلسفي الوافد:

١- **المتفلسفة** المنتسبون للإسلام ظاهرا: قبلوا التراث الفلسفي وافتتنوا به ووثقوا برجاله وعظموهم، وظنوا تراثهم غاية الحكمة وكمال العلم!.

٢- **المتكلمون** كالمعتزلة والأشاعرة: عرضوه على أصولهم وقواعدهم فقبلوا ما وافقها وردوا ما خالفها. إلا أن الاضطراب قد أدرك بعضهم فلم يسلم من التأثر والانجرار مع بعض الأصول والمسائل الفلسفية، ومن أشهر الأمثلة على هؤلاء: أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، الذي رد على الفلاسفة في كتابه "تهافت الفلاسفة"، وكفّرهم فيه بالمسائل الثلاث المشهورة، لكنه عاد فصنف الكتب المضنون بها على غير أهلها، وضمّنها أصولا ومسائل فلسفية، بل حتى كتابه الذي زعم أنه "إحياء علوم الدين" لم يسلم من الشوائب والمواد الفلسفية.

ومن آفات هذه الطائفة سوى تأثرهم بالفلسفة أنهم كثيرا ما يعمدون للرد على الفلاسفة بأدلة ضعيفة، فلا هم للفلاسفة كسروا ولا هم للإسلام نصروا.

ولذلك ندم كثير منهم في آخر حياته على الاشتغال بغير ما كان عليه السلف.

٣- **أهل العلم والإيمان** الملتزمون بطريق السلف والأئمة: أنكروا الفلسفة وما تفرع عنها من الكلام جملة وتفصيلا، وحذروا من ذلك وحرموا الاشتغال به، بل حذروا من مخالطة أهله أو محاورتهم ومحاولة الرد عليهم؛ لما في ذلك من مفسدة الاستماع إلى شبهاتهم وترويجها، وهذه بعض أقوالهم في ذلك:

- سئل أبو حنيفة عن الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة!، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة؛ فإنها بدعة.

- وقال مالك: لا تجوز شهادة أهل الأهواء والبدع. أراد أهل الكلام من أي مذهب.

- وقال أبو يوسف: من طلب الدين بالكلام تزندق..

- وقال الشافعي: ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس.

وقال: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

وقال: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلما يقوله، ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه - ما خلا الشركَ بالله - خير له من أن يبتلى بالكلام.

وقال أحمد: لا يفلح صاحب الكلام أبدا، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل. أي نفاق.

وقال: علماء الكلام زنادقة.

فإذا كان هذا موقف أئمة السلف من الكلام المتأثر بالفلسفة، مع أنه يقصد به إثبات عقائد الإسلام بالطرق العقلية، فكيف بالفلسفة المناقضة أصلا لعقائد الإسلام.

ولذلك تتابع أهل السنة على إنكار العدول عن طريق السلف، وتحريم الاشتغال بالفلسفة وما تفرع عنها من الكلام المذموم، بل الاحتساب على من زاغ وحاول نشرها بين المسلمين، حتى إن ابن الصلاح أفتى بوجوب انتزاع مدرسةٍ من الآمدي لاشتغاله بالفلسفة، وقال إنّ أخذها منه أفضلُ من أخذ عكّا من الصليبيين!.

ومع ذكر هذا الموقف الحازم من السلف وأتباعهم في صيانة عقائد الأمة من تأثير الفلسفات الوثنية الوافدة، يجدر التنبيه والتأكيد على أن خصومتهم لم تكن قط مع العقل الصريح، والمنطق الفطري الذي هو الميزان الذي نزل مع القرآن، على أوفى بيان، وأوضح برهان، وإنما كانت الخصومة مع العقل الوهمي الشاطح، الذي ما أغنى عن فلاسفتهم شيئا؛ بدليل كثرة ما بينهم من التناقضات والاضطرابات، كما تجلى من التلخيص السابق، وهكذا من انتقلت إليه العدوى من أهل الكلام.

النقد التيمي لآراء الفلاسفة

أولا- في مصادر التلقي:

الفلاسفة متفقون في الإعراض عن دين الرسل، وهم من حيث المصادر فئتان: المنطقيون، والكشفيون.

فأما **المنطقيون**، فهم الذين حكّموا العقل المنطقي الاستدلالي في كل شيء، وهو عندهم: (جوهر قائم بنفسه، مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله)، هذا هو العقل الفعّال عندهم!، ولهم معانٍ أخرى للعقل، منها: العملي، والهيولاني، والمستفاد ..، لكنّ الفعال هو الذي

يخرج نفوس الآدميين في العلوم من القوة إلى الفعل. وهذا مفهوم غريب على اللغة العربية، مخالف لمعاني العقل في القرآن والسنة.

وقد زعموا أن في الكون عقولا بها تفيض الكائنات إلى الوجود، وزعم بعض إسلامييهم أنها الملائكة، وأن العقل الفعال هو جبريل!، واستشهدوا بحديث موضوع: "أول ما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل، وقال له أدبر فأدبر، فقال له: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك، بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب"، بل لا يصح في العقل حديث.

أما الوحي عندهم فلا اعتبار له، لكن المنتسبين للإسلام منهم فسّروا الوحي بنظرية الفيض من العقل الفعال على الأنبياء وغيرِهم ممن استجمع القوى النفسانية الثلاث: الحدس والتخيّل والتصرف في هيولى العالم.

وأما **الكشفيون:** فهم فلاسفة التصوف الذين أهملوا الوحي والعقل المنطقي، وعوّلوا على الكشف والذوق والوجد ونحوها من الطرق العرفانية، فالعقل عندهم لا يستمد من الحواس والقياس، بل من المكاشفات والمشاهدات الحاصلة بأنواع الرياضات الروحية.

وقد بدأت بوادر هذه الطريقة العرفانية عند بعض فلاسفة اليونان المتألّهين، كأرسطو وأفلاطون وأفلوطين وهرمس، ثم تلقفها عنهم فلاسفة التصوف في الإسلام كالحلاج وابن عربي وابن سبعين وابن الفارض، وروّجوها تحت مصطلحات بدعية كالمكاشفة والمشاهدة والتحقيق والعرفان .. إلخ.

ويمكن تلخيص النقد للطائفتين في النقاط التالية:

١- **المنطقيون:**

- مفهوم العقل في الإسلام مخالف جذريا لما في خرافات الفلاسفة حول العقل الفعال والعقول العشرة، وصفاتُ الملائكة في الوحيين تكذّب تأويلهم بالعقول؛ فالعقل: مصدر عقلَ يعقِل، وهو غريزة، فهو عرض لا جوهر كما يزعمون.
- حديث "أول ما خلق الله العقل .." كذب باتفاق المحدثين.
- الإسلام احتفى بالعقل حفاوة بالغة، فجعله مناط التكليف، واستعمل أدلته على أكمل وجه لإثبات الربوبية والنبوة والبعث، لكنه العقل الفطري الذي يوافق الوحي، لا العقل الوهمي المتخيّل!. ومع ذلك فقد صان الإسلام العقل من التيه فيما لا يحسنه من الغيبيات التي لا يتناولها الحس، فغاية وظيفة العقل معرفة صحة ما أخبرت به الرسل، وفهْمُ مرادهم، واتباعهم ولو فيما يحار له العقل من عجائب الخلق والأمر؛ فالأنبياء يخبرون بمَحارات العقول لا مُحالاتها، وبهذا المنهج يوافق العقلُ النقلَ، لا التأويل الذي هو تحريفٌ للكلم عن مواضعه.

٢- **الكشفيون:**

- المكاشفات يشترك فيها المؤمنون والمشركون، بخلاف الوحي الخاص بالأنبياء وأتباعهم، والوحي معصوم بخلاف المكاشفة.
- المكاشفات تبع للاعتقادات، فلا تصح إلا بصحة الاعتقاد، فكيف تكون مصدرا؟!.

ثانيا– التلفيق بين الشريعة والفلسفة:

اجتهد المتفلسفة في التوفيق بين آراء الفلاسفة اليونان أنفسهم؛ ليظهروا بمظهر التعبير عن حقيقة واحدة وإن اختلفت عباراتهم، فيكون ذلك أدعى لقبول آرائهم، ثم اجتهدوا بعد ذلك في التلفيق بين الإسلام والفلسفة اليونانية على مراحل:

- أن الفلسفة اليونانية مستنبطةٌ من الأنبياء وأتباعهم!، بل زعم بعضهم أن الأنبياء هم أعظم الفلاسفة!، وأن إدريس هو هرمس الحكيم، وأن الحكمة المذكورة في القرآن والسنة تشمل الفلسفة!، واشتغل الكندي بتأويل الآيات المعارضة لآراء الفلاسفة، وجمع الفارابي بعض الأحاديث يزعم أنها تشير إلى المنطق!، وهكذا حاول ابن طفيل في رسالته "حي بن يقظان" تصوير طريق النظر العقلي الفلسفي موافقا للدين. وكان أوج هذا التلفيق عند ابن رشد الذي زعم أن النظر الفلسفي واجب شرعا!. لكن الأمر بطبيعة الحال آل إلى إخضاع الحقائق الدينية للآراء الفلسفية من طريق التأويل الباطني؛ لشدة التناقض بينهما، لكنهم خصّوا الفلاسفة بمعرفة الحقائق الباطنة، أما الظواهر الدينية فللجمهور الذين لا يحسنون فهم الحقائق، ولا تحتمل عقولهم استيعاب رموز التأويل. فأجازوا الكذب من الأنبياء!، وزعموا أنه ليس بقبيح ما دام

لمصلحة الجمهور؛ لأنهم لا ينضبطون إلا بما صوّره الرسل في ظواهر الوحي من صفات الإله الشخصي المثيب المعاقب، والبعث والحساب والجزاء ... إلخ.

ويرون وجوب حجب هذه الحقائق عن الجمهور؛ لئلا يفضي اطلاعهم عليها إلى فسادهم، أو طعنهم فيس الخواص. وقد نقل ابن سينا عن أفلاطون قوله: (من لم يقف على معاني رموز الرسل لم ينل الملكوت الإلهي).

ومن أمثلة التأويلات الفلسفية الباطنية للدين ما زعموه من أن:

- المحرك الأول هو الله، كما عند أرسطو.
- القدم الزماني للعالم عند أرسطو لا يعارض حدوثه الذاتي، بمعنى أنه معلول لله.
- الملائكة هم العقول العشرة، وجبريل هو العقل الفعال المتصرف فيما تحت فلك القمر، والعرش هو الفلك التاسع، والكرسي الثامن، والأفلاك الملائكة!.
- أول ما خلق الله العقل.
- الوحي والرسالة فيض من العقل الفعال على نفس النبي وغيره ممن هو مستعد قابل.
- آية النور تطابق المفاهيم الفلسفية!، فالنور: الخير، والمشكاة: العقل الهيولاني، والمصباح: العقل المستفاد، والزجاجة: العقل الفعّال ..

- أشار ابن تيمية إلى أن سبب لجوئهم إلى مثل هذه التأويلات المتكلّفة هو قلة كلام أسلافهم من فلاسفة اليونان في الإلهيات والنبوات.
- أما دعواهم أن للدين خطابين: جمهوري وخاص، فمن أبطل الباطل؛ لأنه من الممتنع كتمان هذا التقسيم عن جمهور الناس، فإذا علموا به سقطت الثقة عن جميع ما يخبَرون به، فزالت الحكمة التي زعموها في هذا التقسيم من أساسها.
- وأما تأويلاتهم للنصوص فمن الكذب على اللغة وعلى الأنبياء، وهي من جنس التحريف الذي عابه القرآن على أهل الكتاب.

ثالثا– نقد آراء الفلاسفة في الإلهيات:

وكلامهم فيها قليل كثير الخطأ، وما يعتد به إنما هو ما جمعه ابن سينا وأمثاله، أما اليونان فإنما كانوا يسمون الكلام فيها علم ما بعد الطبيعة، وأساطينهم يزعمون أن اليقين ممتنع في هذا العلم، فليس إلا الأحرى والأقرب!.

١– الألوهية:

كان اليونان وثنيين يعبدون الكواكب، عدا ما ذُكر عن فيثاغورس وسقراط وأفلاطون من التوحيد وإنكار عبادة الأصنام، ولأجل ذلك قتل سقراط وكَتم أفلاطون، ويقال إن سبب توحيدهم هو زيارتهم الشام

ولقياهم بعض أتباع الأنبياء كلقمان الحكيم، بخلاف أرسطو الذي خالفهم وقبِل دين قومه.

- وهكذا فإن ورثة أرسطو المنتسبين للإسلام أهملوا توحيد الألوهية تبعا لمعلمهم الأول، وجوّز بعضهم التدين بغير الإسلام كاليهودية والنصرانية وغيرها، وإن رجحوا الإسلام فلأجل العدل والمصلحة التي فيه، لا لأجل صحة معتقده!.
- والظاهر من **معنى الإله** عندهم أن الألوهية معنى مشترك بين الله والملائكة والمعلمين، لكنها لله أفضل وأشمل، وعلى هذا المعنى قالوا: غاية الفلسفة التشبه بالإله قدر الطاقة. وهذا شر من شرك أهل الجاهلية الذين عرفوا أن التأله هو العبادة والخضوع لكنهم جعلوا الوسطاء والشفعاء بينهم وبين الله، ولم يزعموا أن التأله هو التشبه بالله.

ولهذا يسمونه إله الآلهة؛ لأنهم يزعمون أن كل فلك يتحرك للتشبه بعقله الذي فاض منه!. وهكذا فالأدنى عندهم يتشبه بالذي فوقه حتى الغاية الذي هو إله الآلهة!. ويسمون هذه الحركة "العشقية". فأين معنى الإله عندهم من معناه في القرآن؟!.

- فالتأله عند المرسلين عبادة ومحبة وخضوع وتذلل، أما عند الفلاسفة فتشبه يقتضي المماثلة بل والمنافسة!، والعجب ممن يجعل التأله التشبه ثم ينفي الصفات حذر التشبيه!!.

وبهذا ينكشف سر رواج الشرك لدى الطوائف المنتسبة للإسلام ممن يتبنون عقائد المتفلسفة ويتلمذون على كتبهم.

- والحق أن مستحق العبادة هو المنفرد بالربوبية خلقا وتدبيرا لجميع الكائنات، فإن أجازوا عبادة الكواكب والأفلاك على اعتبار تأثيرها في الحوادث فالرد عليهم:

أ- أن الحوادث تتناقض في الوقت المعين وفي المكان المعين مع اتحاد نسبتها إلى الأفلاك، فكيف ينسب التأثير إليها؟!، فالإنسان مثلا يكون قلبه خاليا من إرادة الضدين، ثم يحدث أحدهما في قلبه، فلا بد من سبب لهذا الترجيح، فيمتنع أن يكون بسبب الأفلاك؛ لأن نسبتها في الوقت المعيّن إلى الأشخاص المختلفة إراداتهم واحدة. بل الشخص الواحد تختلف أحواله دون سبب فلكي. وكذلك أهل الأرض الواحدة يختلفون دون اختلاف الحركة الفلكية عليهم.

ب- احتاروا في طالع الكعبة ومكة وسر امتناعها على الجبابرة دون موافقة ذلك لأصولهم في ربط الحوادث الأرضية بالحركات الفلكية.

- **الشفاعة** عندهم فيض من الشفيع على المستشفع دون قصد أو سؤال منه، كما ينعكس شعاع الشمس في المرآة على الأجسام أو على مرآة أخرى، فالمطلوب من المستشفع إنما هو مقابلة الجواهر العالية لتفيض عليه مما ينعكس عليها من الرب.

- ولهذا يحضون على زيارة القبور ودعاء الموتى والاستعانة بهم ليتصلوا بهم روحيا فتوصلهم بالعقل الفعال أو النفس الفلكية دون علم الله أو إرادته أو قدرته.
- وقد بنوا هذا التفسير الوثني للشفاعة على معتقدهم في علم الله بالكليات دون الجزئيات، وعليه فشفعاؤهم لا يدعون الله لهم؛ لأنهم جزئيات، والله عندهم منزه عن تعلق علمه بالجزئيات الحادثة، وإنما يدعون الشفعاءَ ليفيض عليهم منها ما فاض عليها من الله.
- ومن آثار هذه التأويلات الباطنية لحقائق الشريعة إسقاطهم التكاليف عن الخواص؛ لأن غاية القصد منها إنما هي المعرفة والانضباط الدنيوي، وقد حصل منهم، فلم يعودوا بحاجة إليها.

٢- الربوبية:

أساطين الفلسفة اليونانية متفقون على إثبات الصانع، والمنتسبون للإسلام استفادوا أغلب مباحثهم في ذلك من مبتدعة المسلمين.

والمعروف عن فيثاغورس وسقراط وأفلاطون أنهم مقرون بالصفات الذاتية والفعلية وبحدوث العالم، بخلاف أرسطو والمشائين الذين يذكرون العلّة الأولى والمحرك الأول والعلة القابلة للحركة الفلكية العشقية.

أ- **دليل الوجوب والإمكان** عند الفلاسفة الإسلاميين:

وقد صاغه ابن سينا من بضاعة أهل الكلام في دليل الحدوث والجواهر والأعراض، وقد سبقت الإشارة إلى تقسيم ابن سينا الوجود إلى واجب

بذاته وواجب بغيره ممكنٍ بذاته. والممكن لا بد له من واجب موجود بنفسه هو العلة الأولى ومبدأ الوجود. فهذه الطريق الأولى عند ابن سينا، والثانية طريقة الحدس، وهي الاستدلال بواجب الوجود على ما سواه، عكس الأولى.

- أما أرسطو فيثبت العلة الأولى اعتمادا على الحركة الفلكية الشوقية العشقية الإرادية، وأنها تدل على وجود المحبوب المعشوق المراد، لكن ذلك لا يعني أن أرسطو يثبت وجود علة فاعلية؛ فهو لم يذكر أن هذه العلة الأولى هي مبدعة العالم، بل أبدعه غيرها، أو أن العالم واجب بنفسه ليس مبدَعا، لكنه محتاج إلى العلة الأولى احتياج المحِب إلى محبوبه، ومتحركٌ للتشبه بها كالمؤتم مع إمامه!!، وعنده أن هذا المحبوب المعشوق الذي هو العلة الغائية للكائنات لا يجوز أن يكون متحركا؛ لأن الحركة حدوث يتنزه عنه، وقال لأجل ذلك بقدم العالم؛ لأن حدوث العالم بزعمه يقتضي حركة حادثة تقوم بالمحرك الأول والعلة الأولى ترجح وجود العالم على عدمه، ومن المتفق عليه بين العقلاء أن حدوث الحوادث عن علة لا تغيّر فيها ممتنع غاية الامتناع، فلذلك منع أرسطو حدوث الحوادث عن المعشوق الذي سماه المحرك الأول. وقد خالف فلاسفة الإسلام أرسطو في هذا وأثبتوا أن الله علة فاعلية للعالم لا مجرد غائية.
- أما نقد دليل الوجوب والإمكان فمن جهة تقسيم القديم إلى واجب وممكن (أو على عبارة ابن سينا السالفة: واجب ذاتي وواجب

غير ذاتي) فلا سبيل إلى العلم بافتقار القديم إلى فاعل، بل العقلاء يمنعون ذلك، ولو قدّر جوازه لكان بطريق خفي جدا، لا يصلح برهانا لإثبات واجب الوجود، فليس في كلامهم فائدة، بل شكوك باطلة.

- التقسيم المستقيم عقلا وفطرة أن الموجود إما بنفسه وهو الخالق وإما بغيره وهو المخلوق، ولا يكون إلا محدَثا بعد عدم، وهكذا القول عند العقلاء في الممكن الذي يقبل الوجود والعدم، ولو قدّرنا عدم معرفة الفطرة لوجوب حدوث الممكن فلأجل اللبس الحاصل من مصطلح الإمكان، فاستعمال مصطلح الخالق والمخلوق أحسن وأبين، لهذا جاء في القرآن دون الواجب والممكن. والخلاصة أن إثبات القدم للمكن الذي يقبل الوجود والعدم تناقض صريح. ولو قصد ابن سينا الممكن أفرادا الواجب لغيره نوعا لأصاب، لكن عباراته مجملة لا تؤدي ذلك صراحة.
- الطريقة القرآنية هي الاستدلال المباشر بالأثر على المؤثر (الآيات)، دون الحاجة إلى القضية الكلية (وكل أثر فلا بد له من مؤثر)(كل ممكن لا بد له من واجب)، فالطريقة القرآنية تعيّن المدلول مباشرة، بخلاف الطريقة المنطقية الفلسفية المبنية على توسط القضية الكلية، فطريقة القرآن أكمل، وإن كانت الطريقة القياسية المنطقية صحيحة، لكنها قاصرة عن تعيين المطلوب.

ب- مسألة قدم العالم:

سبقت الإشارة إليها عند الحديث عن آراء أرسطو، وكذا عن دفاع ابن رشد عن الفلاسفة، وأول من قال بها أرسطو، ثم تلقفها عنه فلاسفة الإسلام، ودليله هو التلازم بين المحرك الأول الذي لا يتحرك وبين العالم الذي يتحرك نحوه حركة شوقية، فهو علة غائيّة للعالم لا فاعلية، وتحريكه للعالم ضروري فيْضيٌ لا بإرادة، ولا يُتصور عند أرسطو تأخرُ المعلول عن علته، ولا انقطاع الحركة الشوقية، فلا بد إذن من قدم العالم المتحرك بقدم محركه الأول. وقد حاول فلاسفة الإسلام تلطيف هذه الشناعات، فقسموا القِدم إلى: ذاتي خاص بالله، وزماني معناه عدم المسبوقية بالعدم. وعلى هذا فالعالم قديم زمانا حادث ذاتا، أي معلول صادر عن الله مع مقارنته له في الوجود، كحركة الخاتم مع الإصبع.

لكنهم خالفوا أرسطو فأثبتوا أن الله علةٌ فاعلية للعالم، لا مجردُ غائية حركية، وأثبتوا أن العالم ممكن بنفسه واجب بغيره، لا كما زعم أرسطو أنه قديم واجب بنفسه ليس له صانع أبدعه.

والخلاصة أن تقدم الباري على العالم عند الفلاسفة إنما هو بالذات والرتبة لا بالزمان، كتقدم العلة على المعلول والإصبع على الخاتم.

- وغاية ما تدل عليه أدلتهم إنما هو قدم نوع الفعل الإلهي، لا شيءٍ من العالم بعينه، وقدم نوع الفعل الإلهي وما يتعلق به من المفعولات هو ما دلت عليه نصوص الأنبياء.
- دليلهم على قدم العالم هو كون الصانع موجِبا بالذات، علةً تامة، فلا يتأخر عنها معلولها، وهذا مبني على نفي قيام الصفات والأفعال بذات الله تعالى، لئلا تفضي إلى قيام المتغير بالقديم.

قالوا: ولو جاز تأخر المعلول عن علته لم تكن تامة، ولوجب تجدد سبب مؤدٍ إلى حدوث المعلول، فيكون الصانع ناقصا قبله، ولا يجوز القول بحدوثه بدون تجدد سبب؛ لأنه ترجيح بلا مرجح. وإذا كان السبب حادثا فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الأول، فيلزم التسلسل، فلم يبق إلا القول بالعلة التامة، وإلا لزم: إما الترجيح بلا مرجح، وإما نقصان العلة الأولى، وإما التسلسل.

والرد عليهم أنه يلزم من المقارنة الزمانية بين العلة التامة ومعلولها ألا يكون شيء من الحوادث حادثا عن العلة التامة التي هي واجب الوجود، وحينئذ فإما أن تكون حادثة بنفسها أو بفاعل آخر، فينتقل السؤال إليه، فيلزم ألا يحدث عنه حادث إن كان علة تامة، أو التسلسل، فلم يبق إلا أن يبطل قولهم بالعلة التامة الأزلية الموجبة بالذات، وأن الصانع ذو إرادة تقوم به يُحدث بها الحوادث. وحدوث الحوادث المشهودة في العالم دليل على أن فاعلها ليس بعلة تامة في الأزل، فلا يصح القول بقدم شيء من العالم.

- زعم ابن سينا أن الشيء يكون مفعولا ممكنا وهو قديم أزلي؛ ليجمع بين قول الفلاسفة بقدم العالم وقول المسلمين بأنه مخلوق!، وهذا ممتنع باتفاق العقلاء، ولهذا أنكره ابن رشد وكثير من أتباع أرسطو؛ فما ثبت قدمه امتنع عدمه، وما جاز عدمه امتنع قدمه.

ومن عجائب ابن سينا وأتباعه أنه جوّز تسمية العالم محدَثا قديما على اعتبار أن المحدَث عنده المعلول، لا الموجود بعد العدم. وهذا غاية ما يكون من التضليل والتلاعب باللغات والمصطلحات.

- أما قولهم بوجوب مقارنة المعلول لعلته كالخاتم مع الإصبع، فالصحيح أن العلة هنا لفظ مجمل، فإن أريد بها ما يكون مبدِعا للمعلول فاعلا له فمن الباطل بصريح العقل القول بالمقارنة بينهما، أما إن أريد بالعلة ما ليس كذلك، فليس هو من باب الفاعل في شيء، بل هو من باب الشرط الذي قد يقارن المشروط.

أما الفاعل فيمتنع أن يقارن مفعوله المعيّن، أما نوع مفعولاته فأمر ذهني لا وجود له في الخارج، فلا تمتنع مقارنته الذهنية لعلته، ولا يتعارض قدمه مع ما سبق؛ لأن وجوده في الخارج إنما هو وجود أفراد متعيّنة حادثة لا تقارن فاعلها، فقدم نوع الفعل كقدم نوع الحركة، لا ينافي حدوث كل جزء من أجزائها.

وختاما فإن غاية ما في أقوالهم من أدلة صحيحة إنما تدل على حدوث كل ما سوى الله تعالى، وعلى قيام أفعاله الحادثة به، وعلى قدم نوع أفعاله، وهذا ما عليه الأنبياء وأتباعهم. وهذا هو مقتضى الكمال الإلهي، وليس هو التغير الذي يلزم عنه نقص قبل ذلك، وقد اعترف حُذّاقهم بأن حدوث المتغير عن غير المتغير مخالف للعقلاء.

ت- الصدور والفيض (التولد):

الفيض هو التعبير الفلسفي عن العلاقة بين الله والعالم، يقابله عند أهل الملل الخلق من العدم، الذي لا يسلم به فلاسفة اليونان، فلا وجود عندهم إلا من موجود، وقد سبقت الإشارة إلى نظرية الفيض عند التعريف بأفلوطين وآرائه، وأنه أول من صرح بها، خلافا لما ظنه الفارابي وابن سينا من أنها من وضع أرسطو، بسبب خطأ في نسبة كتاب "أثولوجيا" إليه، والصواب أنه لأفلوطين.

وإنما احتفوا بها لظنهم أنها حل لمعضلة انبثاق الكثرة عن واحد، وتفسير لأغلوطة الخلق دون إرادة حادثة تقوم بالخالق!.

وجعلوها على ست مراتب:

١- صدور العقل الأول، فهو ممكن في ذاته واجب بمصدره، قديم بقدمه. وهو العرش عند ابن سينا!

٢- صدور العقل الثاني من الأول، (وهو الكرسي عند ابن سينا!)، وهو جوهر غير متجسم، يعقل ذاته والعقل الأول، ومن هذا التعقل تصدر على التوالي سبعة عقول مقترنة بالأجرام السماوية وكراتها الفلكية: السماء الأولى، زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، وقد جعل ابن سينا هذه السبعة مع الكرسي حملة العرش الثمانية! كما جعل العشرة هم المقربين، ومجموعهم القلم!، كما جعل ابن سينا للأجرام السماوية أرواحا كالبشر.

٣- صدور العقل الفعال العاشر (عقل فلك القمر) عن التاسع، وهو الصلة بين العالمين العلوي والسفلي، ويدبر ما تحت فلك القمر، الذي هو عالم الكون والفساد، حيث يفيض عالم العناصر. ويسميه

الفارابي وابن سينا: روح القدس، أو جبريل، وهو واهب العناصر صورها، من جماد ونبات وحيوان، ومنه تصدر النفوس البشرية، فهو الرب عندهم!.

٤- صدور النفس عن العقل الفعال.

٥- صدور صور المواد.

٦- صدور المادة.

والأفكار التي ارتكزت عليها نظرية الفيض هي:

١- الصدور قديم أزلي، ضروري حتمي، فيضاد الخلق والإحداث من العدم.

٢- الصدور تلقائي غير إرادي، نتيجةً لخصوبة الواحد وكماله الفائض.

٣- الوجود منقسم إلى واجب بذاته، وإلى واجب بغيره ممكن بذاته.

٤- الواحد لا يصدر عنه إلا واحد. وخالف فيها ابن رشد كما سبق.

٥- تعقل الله علةٌ لوجود الأشياء على الصورة التي تعقّلها بها!.

ولهم خلافات واضطرابات حول تفاصيل هذه النظرية، وخلاصة نقدها في النقاط التالية:

- أن الجمع بين قدم صدور العقول والأفلاك ومعلوليتها جمع بين النقيضين.
- تفسيرهم للوحدانية بعدم الصفات الثبوتية احترازا من التركيب، ثم قولهم إنه عقل وعاقل ومعقول، وعشق وعاشق ومعشوق، ولذة ولذيذ وملتذ، وكل واحدة من هذه عين الأخرى، والصفة عين

الموصوف، هذا مما لا يتصور وجوده إلا في الأذهان لا الأعيان.

- لو صح أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد لزم التسلسل، والحس يكذبه، لذلك اضطربوا في هذه المسألة.
- لا يعقل صدور جواهر عن جوهر واحد من غير انفصال جزء من أصل، إنما يكون الصدور عن اثنين، وما يذكرونه من صدور الشعاع عن الشمس ونحوه إنما هو صدور أعراض، لا تولد أجسام، وهي عن أصلين لا واحد، وما يذكرونه من التولد العقلي أشد امتناعا مما ادعاه المشركون من التولد الحسي.
- قولهم بصدور العالم عنه دون إرادته أشد كفرا من قول من قال إنه اتخذ ولدا بإرادته!.
- أن ما ادعوه من تفسير العقول والنفوس والأفلاك بالعرش والكرسي والقلم واللوح والملائكة والسموات ونحوها كذب محض وافتراء على اللغة والوحي، وقد جمع من الشرك والكفر ما لم يقل به مشركو العرب وأهل الكتاب.

٣- الأسماء والصفات:

يرى أرسطو أن المحرك الأول لا يعقل إلا ذاته، وأنه واحد من كل وجه، فهو غير مركب أصلا، ويتنزه عن الجسمية؛ لأن المادة متناهية، وهو غير متناه، فهو جوهر مفارق للمادة لا مكان له.

وهكذا تصور المتفلسفة واجب الوجود، لكنهم زادوا على أرسطو ورهطه في تقرير هذا التصور والتدليل عليه ما استفادوه من المعتزلة، فزعموا أنه غير منقسم معنىً ولا كماً، وإلا لزم تكثّره وافتقاره إلى أجزائه، ما يقدح في وجوب وجوده الذي هو أخص صفاته عندهم، فجرّدوه من كل صفة تجعل له وجودا متعيّنا خارج الذهن، وفسروا وحدانيته بالبساطة المطلقة، واقتصروا على وصفه بالصفات السلبية تفصيلا، كقول ابن سينا: لا فصل له، ولا ند، ولا عرض، ولا يشار إليه، ولا خارج العالم ولا داخله، ولا أين له ولا متى..، أو الإضافات كقولهم: إنه مبدأ الكائنات وعلة الموجودات ومحركها..

وهذا غاية ما يكون من التعطيل والإلحاد في أسماء الله؛ لأنه لا فرق بين ما أثبتوه من الوجود الذهني البسيط بإطلاق وبين العدم المحض!.

أما نصوص الصفات، فأولوها بالعلم؛ فمعنى السميع: العالم بالمسموعات، ومعنى البصير: العالم بالمبصرات، ومعنى الحي: العالم بنفسه، وكلامه فيض علمي على قلب النبي، وهكذا!، فلا فرق بينهم بين صفة وصفة، بل كل صفة عندهم عين الأخرى، والصفات عين الذات!

ومن اللوازم الباطلة التي تبطل مذهبهم في الصفات:

- أن كل موجود فُرض وجوده سيكون أكمل من رب العالمين؛ لأنهم وصفوه بما يمتنع تحققه خارج الأذهان، وما كان له وجود حقيقي مهما كان ناقصا فإنه أكمل من المعدوم والممتنع الوجود، والأمور العدمية لا مدح ولا كمال فيها، إنما يكون المدح والثناء على الكمال الوجودي، وحتى ما ورد في الوحي من التنزيه فإنما أريد به إثبات كمال الضد، لا مجرد النفي المحض.
- عدم تمييزهم بين الصفات وجعلها عين الموصوف سفسطة ومكابرة صريحة للضروريات.
- ما زعموه في الصفات الثبوتية من محذور التركيب لازم لهم في قولهم: إنه واجب الوجود، عقل عاقل معقول؛ فالمفهوم من الجميع واحد، فهي جميعا معانٍ متعددةٌ متغايرة في العقل، وهذا تركيب عندهم، فإن قالوا: إنه تركيب غير ممتنع، قلنا: فهكذا الصفات الثبوتية.
- التركيب المستلزم للافتقار إلى الأجزاء وإلى مُركّب يركّبها إنما هو تركيب الأجساد من أبعاضها وأخلاطها، وليست الصفات الإلهية الثابتة في الوحي من هذا النوع. أما التركّب من الذات والصفات والأعراض فإنما هو اعتباريٌ ذهني لا وجود له خارج الذهن أصلا حتى يزعموا لزوم النقص والافتقار منه!، فالذات الإلهية موجودة في الخارج قائمةً بنفسها مستلزمةً للوازمها التي لا يصح وجودها إلا بها، وليست صفاتها أجزاءً لها، ولا أبعاضا يتميز بعضها عن بعض أو تتميز عنه حتى يقال إنه مركب منها ومفتقر إليها، ولو فرض جدلاً أن التغاير والتعدد في الصفات يسمى تركيبا كما هو اصطلاح الفلاسفة فليس هذا هو التركيب

المحذور المستلزم للإمكان والحدوث، فلفظ التركيب إذن من الألفاظ المجملة التي لم يستعملها الوحي في حق الله تعالى نفيا ولا إثباتا، فالواجب التوقف فيه والتفصيل، فما وافق الوحي من معناه أثبتناه، وما خالفه نفيناه.

- من تناقضهم نفي الصفات لاستلزامها الافتقار إلى الغير، مع قولهم باستلزام الذات لمفعولاتها المنفصلة عنها؛ لوجوب مقارنة المعلول لعلته التامة، ففروا من القول بقدم صفاته مع قولهم بقدم مفعولاته! مع أن قدم الصفات أولى وأقرب للمعقول.
- لو صح مذهبهم لكان الرسل كاتمين للحقائق الإلهية عن الجمهور، بل مخبرين بنقائضها، وقد التزم ابن سينا بهذا في الرسالة الأضحوية، وعلله بعدم تحمل الجمهور سماع الحقائق، فقُربت لهم على سبيل التشبيه والتخييل!. فيلزم على هذا أن الرسل في باب الإلهيات ليسوا هداة، وأن عدمهم خير من وجودهم!.

رابعا– نقد آراء الفلاسفة في الملائكة والجن والنبوة

١– الملائكة:

لم ينقل عن اليونان شيء بشأنهم، لكن المتفلسفة الإسلاميين الملفقين بين الإسلام والفلسفة اليونانية زعموا أن الملائكة هي العقول العشرة

المذكورة في نظرية الفيض، وأن جبريل هو العقل الفعال، وتبعا لذلك جردوا الملائكة من المادة وجعلوها معاني عقلية وقوىً نفسانية صالحةً وخيالات نورانية وأعراضا تقوم بغيرها.

وكل عارف بما أخبرت به الرسل عن صفات الملائكة وأفعالهم ووظائفهم يعلم بالاضطرار منافاة ذلك لما يذكره الفلاسفة عن العقول والنفوس والأفلاك؛ فقد تواتر عن الأنبياء أنهم أحياءٌ ناطقون، خارقون لقدرة البشر، وأنهم رسلٌ يبلغون خبر الله، وأنهم مخلوقون من نور كما ثبت في السنة، وهذا يكذب قول المتفلسفة بقدمهم وأنهم مجردون من المادة، وهكذا قصة ضيف إبراهيم المكرمين، وتمثل جبريل لمريم بشرا سويا، وإتيانه النبي في صورة دحية الكلبي وغيره، وقتالهم مع المؤمنين، ولو كانوا مجرد قوى في نفس النبي لم يرهم أحد.

٢- **الجن:**

عامة الأمم يؤمنون بالأرواح، والسحرة منهم يؤمنون بالجن، وقدماء اليونان يثبتون روحانيات الكواكب وتأثيرها في العالم، أما أرسطو وأتباعه من المشائين فلم يتكلموا في ذلك، لكن أتباعه من المتفلسفة زعموا أن الجن هي القوى الخبيثة للنفس، كما أن الملائكة قواها الصالحة، ولم يثبتوا للجن وجودا حقيقيا في الخارج، واعتبروا ما يحصل من أمور خارقة غريبة كالسحر والكهانة والعين والمس والصرع ونحوها، آثارا لتلك القوى النفسية الخبيثة، بشرية كانت أو فلكية، مع ما يقارنها من الاتصالات الكوكبية والتشكلات الفلكية.

وهذا خلاف ما عليه عامة الأمم وجمهور الفلاسفة والأطباء من إثبات وجود الجن المنفصلين وتأثيرهم في العالم، وغاية مستند منكري ذلك إنما هو التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله، فهم ينكرون الوجود الحقيقي للجن لعدم علمهم بوجودهم، لا لعلمهم بعدم وجودهم، وفرق بين الأمرين؛ فإن النافي مطالب بالدليل كالمثبت، وغاية حقه إذ لم يعرف وجودهم أن يتوقف في شأنهم، لا أن ينكرهم، وليس وجودهم من جنس الممتنعات حتى ينكرهم العقل، بل هو جائز عقلا أخبر به الصادق المعصوم، وتواتر عن صالحي الناس وغيرهم من جميع الأمم، فوجب قبوله.

ولا يلزم من هذا نفي الكشف النفساني، الحاصل يقظة أو مناما بسبب قلة تعلق النفس بالبدن برياضة أو غيرها، لكن هذا الحال يقصر تفسير الظواهر الناتجة عن التأثير المحسوس للجان. كما في خبر عرش بلقيس، ونحوه مما تواتر عن الثقات كحمل الجن بعض الناس في الهواء وإحضار الطعام لهم وإخبارهم بما غاب عنهم، فمثل هذا لا يصح أن يقال إنه من قوى النفس.

٣- النبوة:

أ- إيمان الفلاسفة بالأنبياء:

كان اليونان وثنيين لا علم لهم بالنبوة إلا من جهة القدر المشترك بين بني آدم وهو المنام، وقد ذُكر عن بعض متقدميهم زيارة الشام بلاد الأنبياء، وتلقيهم عن بعض أتباعهم كلقمان الحكيم، لكن المعرفة

المجملة لا تنفع، كمعرفة قريش وسماعهم بالأنبياء، أما أرسطو وأتباعه فالمشهور أنهم وثنيون لا علم لهم بالنبوة وتعاليمها. وقد حاول أتباعه من الإسلاميين كالفارابي وابن سينا تخريج أقوال الأنبياء على أصول الفلاسفة، فزعموا أن الفيلسوف بمرتبة النبي، وأنهما يستمدان من العقل الفعال، وربما فضلوا استمداد الفيلسوف؛ لأنه يستمد بالنظر الطويل، لا كالنبي بالمخيلة، كما زعم الفارابي، وخالفه ابن سينا ففضل النبي. لكنهم في الحقيقة لم يستفيدوا شيئا من علوم الأنبياء، بل جعلوها تخييلات وتمويهات للعامة؛ لمصلحة إصلاحهم، لا لموافقتها الحقيقة في واقع الأمر، فهم على ذلك يكذبون للمصلحة.

ب- الوحي:

هو عندهم فيض عقلي من العقل الفعال على نفس النبي أو غيره من أهل الاستعداد. فليس لله عندهم كلام حقيقي بمشيئته تنزل به الملائكة على الأنبياء، بل ليس له أصلا علم بشيء من تفاصيل العالم ومجرياته.

ت- النبوة وخصائص الأنبياء:

الرسالة عندهم هي ما قبل من الفيض العقلي على أي عبارة استصوبت لصلاح عالمي البقاء والفساد علما وسياسة. ومعنى هذا أن عبارات القرآن إنما هي من وضع الرسول، أما الرسول فهو مبلغ هذه الإفاضة.

والنبوة عندهم مكتسبة باستجماع ثلاث خصائص:

١-قوة الحدس المحصّلة للعلم بسهولة.

٢-قوة التخييل التي تمكّنه من رؤية وسماع ما يعلمه في نفسه.

٣-قوة التصرف في هيولى العالم ومادته، فيستخرج بها الخوارق والمعجزات، كالتأثير الحاصل من نفس العائن.

ث- **معجزات الأنبياء:**

حصروها في تأثير قوى النفس كما سبق، وقد فسر ابن سينا خوارق الطبيعة بمبادئ ثلاثة:

١-الهيئة النفسية، ومنها السحر والمعجزات والكرامات.

٢-خواص الأجسام العنصرية، كالمغنطيس.

٣-قوى سماوية تتعلق بأجسام أو نفوس مخصوصة. والطلّسمات من هذا القبيل.

ثم ذكر أمثلة على القوى النفسية وأسبابها، وأنها تحصل للبر والفاجر، وكما تؤثر في الأبدان تؤثر في العالم بالزلزلة وإنزال المطر ونحو ذلك.

وغالب هذه الآراء يكفي مجرد تصوره في معرفة بطلانه ومناقضته ما علم بالضرورة من دين الإسلام، وقد تقدم نقد كثير من هذه الآراء بما يغني عن إعادته، ومن وجوه النقد غير ما تقدم:

- أن من علم حال خاصة النبي من السابقين الأولين يعلم يقينا أنهم كانوا يصدقونه ظاهرا وباطنا، ولم يعتقدوا قط في شأنه ما يخالف ظاهر ما بينه، ولم يتأولوا قط شيئا من نصوصه على خلاف ظاهرها.
- أنهم بقولهم إن النبوة قوى نفسانية قد جعلوا ما يحصل للأنبياء من جنس ما يحصل للمجانين والسحرة، ولم يميزوا الأنبياء عنهم إلا بما يشاركهم فيه عموم المشركين من الخير وحسن القصد.
- لا ننكر اختصاص الأنبياء بقوى في نفوسهم تكون أسبابا لخوارق يكرمهم الله بها، لكن المنكر الباطل أن يقال إن جميع الخوارق هذا سببها؛ فأكثر خوارق الأنبياء العظمى لا تستوجبها قوى النفس بمجردها، كالطوفان العام وانفلاق البحر ووقوف الشمس وانشقاق القمر واهتزاز العرش وانتثار الكوكب وانقلاب العصى حية وخروج ناقة من الجبل ونزول المن والسلوى ونبع الماء بين الأصابع .. إلخ، فهذه وأمثالها لا يصدر جنسها عن سبب معتاد، فهي خارقة للعادة بجنسها، بخلاف ما هو خارق للعادة في قدره لا في جنسه، كنزول المطر وشفاء المريض وزلزلة الأرض.
- النبوة لا تنال بالاكتساب، بل بإيحاء الله لمن يصطفيه من عباده، كما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام.
- أخطأوا في جعل السحر مجرد قوى نفسانية؛ فالسحرة باتفاق أهل المعرفة من جميع الملل يستعينون بأرواح تقارنهم، منفصلة عن نفوسهم، يعبدونها ويقدمون لها أنواع القرابين. فخطأهم في جعل المعجزات مجرد قوى نفسية من باب أولى.

- تأثير النفوس مشروط بشعورها وإرادتها، وخوارق الأنبياء منها ما لا يشعرون به، ومنها ما لا يريدونه، ومنها ما هو قبل وجودهم كقصة أصحاب الفيل، أو بعد موتهم كحفظ دينهم وكتابهم، فكيف تحصر في قواهم النفسية؟!.

خامسا- آراؤهم في القدر:

ذهب الأبيقورية إلى القول بحرية الإنسان ومسؤوليته عن فعله، وناقضهم الرواقيون، وجمع أفلاطون بين الجبر والحرية، لكنه قصر الاختيار على الفلاسفة؛ فالحرية ليست فطرة، بل ثمرة مجاهدة. والشر عنده راجع إلى طبيعة الإنسان، أما أرسطو فقد جمع القول بالعلة الغائية دون الفاعلية، المقتضي لنفي القدر، مع القول بحتمية حركة العالم الشوقية نحو المحرك الأول، المقتضي للجبر.

أما المتفلسفة، فالكندي على يوافق الرواقية الجبرية، مع تصريحه بنسبة الاختيار للإنسان، فهو متناقض، أما الفارابي وابن سينا فقد تطابقت آراؤهما على أن القضاء هو إبداع الإله العقل الأول، والقدر هو فيض الموجودات من العقل الأول تباعا في سلسلة الفيض. ويفرق ابن سينا بينهما بأن القضاء هو علم الإله المحيط بمبدَعاته، أما القدر فهو إيجاب الأسباب للمسبَبات، فالقدر عنده أخص، وهو الذي يدخله الشر، أما القضاء فخير محض، مع أن القدر فيض من متفرع من القضاء، فليس القضاء إلا الوجود في العقل الأول، وليس القدر إلا الوجود التعين في سائر الموجودات، وهذا مبني على قوله بصدور العقل الأول من

الإله ضرورة؛ لأنه لا غاية لفيضه، ما يترتب عليه حتمية الموجودات تبعا لوجود علتها التامة، فيلزم من ذلك:

- عدم قدرة الإله على تغيير ما قدّره.
- عدم قدرته على أفضل من العالم.
- استغناء العلل والمعلولات عن إرادته وقدرته.

ومع تصريح الفارابي وابن سينا بحرية الإنسان، فإنهما بالتفسير السابق للقضاء والقدر بالفيض الحتمي ينتهيان إلى الجبر، فالاختيار مجرد معلول حتمي لعلة سابقة.

ويتضح مما سبق شدة المناقضة بين التصور الفلسفي للقضاء والقدر وبين التصور الإسلامي، فالتصور الإسلامي قائم على إثبات أربعة أمور كلها منتفية في التصور الفلسفي: علم الله الشامل للجزئيات، وإرادته التامة المطلقة لكل الكائنات، وكتابته كل شيء في اللوح المحفوظ، وخلقه لكل شيء: الذوات والأفعال، الاختيارية وغيرها، وكل هذا يناقض تفسير الفلاسفة للقضاء والقدر، المبني على تصورهم للإله وعلاقته بالموجودات، من خلال نظرية الفيض الحتمي، والحركة الشوقية الحتمية، وانشغال الإله بتعقل ذاته عن العلم بخلقه وتدبيرهم!.

وحتى ما ذكروه من سلسلة العلل والمعلولات والأسباب والمسببات ضمنوه نسبة الحوادث كلها إلى الفلك الأطلس التاسع، وهذا من أعظم المقالات فسادا وكذبا؛ فكل من نظر في السماء علم أن حركة الأفلاك لا ترجع إلى التاسع وحده، بل لكل فلك حركة تخصه، ولا يستقل شيء

منها بإحداث شيء أصلا، بل للحوادث أسباب أخر، قد تكون الأفلاك جزءا منها وقد لا تكون.

سادسا- آراؤهم في البعث:

ينسب لسقراط وأفلاطون إثبات البعث الجسماني والجزاء الأخروي، أما أرسطو فقال بفناء النفس وقواها بالموت عدا العقل، وأنكر العذاب والنعيم الحسي، وتبعه المتفلسفة فأنكروا البعث الجسماني؛ لعدم إمكان إثباته بزعمهم، وأثبتوا الروحاني، فكل ما ذكره الأنبياء من تفاصيل البعث والجزاء على قولهم حاصل على الروح دون الجسد، وإنما أخبر الأنبياء عنه في قالب الحس بطريق المجاز، أو لأجل مراعاة حال الجمهور الذين لا يحركهم المعاد الروحاني كالجسماني، وزعم المتفلسفة أن المعاد الروحاني أكمل وأفضل، وتأولوا الثواب والعقاب والجنة والنار والصراط وملائكة العذاب وأبواب الجنة والنار ونحوها من أمور الآخرة بمعان عقلية صرفة.

ومن الشبهات التي بنوا عليها مذهبهم هذا زعمهم أن الأرواح غير متناهية لقدم نوعها، ومادة الأجساد متناهية، فيستحيل حشر الأجساد المتناهية لأرواح غير متناهية!.

ومنها ما سبقت الإشارة إليه عند ذكر دفاع ابن رشد عن الفلاسفة ضد الغزالي، من أن بدن الإنسان يتحلل ويتفرق وتدخل ذراته في أجساد أناس آخرين، فيمتنع رجوع ذرات مشتركة إلى أبدان متعددة.

وما ذكروه من المعاد الروحاني دون الجسماني مناقض لما تواتر عن الأنبياء والكتب المنزلة، ودعواهم المجاز في كل أخبار المعاد كذب على الأنبياء لا دليل عليه، وكذا تأويلاتهم الباطنية لتفاصيل الآخرة، ولو صح ما زعموه لم يبق معنى للدلائل والأقيسة التي ساقها القرآن لإثبات البعث؛ فإن البعث الروحاني ليس هو الذي كانت الخصومة فيه مع الدهريين، بل البعث الجسماني والإعادة لأعيانهم وإحياء عظامهم بعد أن صارت رميما، كما هو صريح قولهم الذي حكاه القرآن، وقد سبق إبطال دعوى الخطاب الجمهوري، وبيان استحالة كتمان الحقائق عن الناس.

وكذا دعوى تناهي الأجساد دون الأرواح وقدم نوعها لا دليل عليها، ولو فرض عدم تناهي الأرواح لم يمتنع أن يخلق الله مادة غير متناهية تكفي لخلق أجسادها؛ فمن خلق المادة السابقة لا يعجزه أن يخلق مثلها بلا حصر، لكن هذا كله كذب وادعاء لا يدل عليه عقل ولا نقل.

أما شبهة اشتراك الأجساد الكثيرة في ذرات معيّنة فقد سبقت مناقشتها، وتبين أنها لا تلزم السلف، إنما تلزم المتكلمين القائلين ببعث عين الأجساد التي مات عليها الناس، أما عند السلف وجمهور العقلاء فإن تخليق الله للأبدان يكون بقلبها من حال إلى حال، فتستحيل من المادة السابقة إلى الجسد الجديد، وتنعدم السابقة فلا تبقى بعد الخلق الجديد، كما يخلق الإنسان من المني، لا يقال إن مادة المني باقية فيه، بل استحالت وانعدم أصلها فلم يبق منه شيء، وكذا خلق آدم من طين، فلم يبق من الطين شيء بعد تحوله بشرا سويا من لحم وعظم، وكما يخلق

النار من الشجر الخضر، فهكذا إذا اضمحلّت أجساد الموتى وتفرقت أشلاؤهم وتفتتت عظامهم وانبثت وانتشرت واختلطت بكائنات أخرى، لم يلزم لإعادة الموتى سوى خلقهم خلقا جديدا، بما شاء الله من المواد والذرات والعناصر، والنشأة الجديدة التي أخبرت عنها نصوص البعث ليست كالنشأة الأولى القابلة للفساد، بل هي نشأة بقاء ودوام، لكن يبقى من الجسد الأول غالبا عجب الذنب كما جاء في الحديث، ويبقى من صورته ما يميزه عن غيره، وإن كانت الصورة العامة مطابقة لآدم، فليس الجسد المُعاد مباينا للأول من كل وجه، ولا النشأة الثانية كالأولى من كل وجه.

نماذج من أسئلة الامتحان

ملاحظة مهمة: هذه النماذج لا تغني عن مطالعة الكتاب واستذكار الملخص؛ فقد يرد غيرها في الاختبار، وقد يختلف ترتيب الاختيارات وأسلوب السؤال.

اكتبي رقم الاختيار الصحيح بين القوسين هكذا: (؟) في بداية كل فقرة مما يلي في وجهي الورقة:

[تنبيه مهم: لا يكفي وضع دائرة على الاختيار الصحيح]

( )- الفلسفة أصلها كلمة: ١- عربية ٢- فارسية ٣- يونانية ٤- هندية

( )- معنى الفلسفة محبة: ١- الله ٢- الحكمة ٣- الدين ٤- الأنبياء

( )- في العصور الحديثة تطلق الفلسفة على الدراسات المتعلقة: ١- بالعقل ٢- بالوحي ٣- بالنفس ٤- بالحياة

( )- الذي افتتح العصر الرسمي للفلسفة اليونانية هو: ١- طاليس ٢- أفلاطون ٣- سقراط ٤- فيثاغورس

( )- بدأ التفكير الفلسفي المنظم أول ما بدأ في بلاد: ١- الشام ٢- اليونان ٣- الرومان ٤- الشرق

( )- حاول أصحاب المدرسة الأيونية تفسير ظواهر العالم بلغة: الروح ٢- الدين ٣- المادة ٤- الأخلاق

( )- ذهبت المدرسة الفيثاغورية إلى أن أساس كل شيء وجوهره هو: ١- الله ٢- الطبيعة ٣- النفس ٤- العدد

( )- أهم مبادئ المدرسة الأيلية قولهم بأن العالم ذو طبيعة: ١- واحدة ٢- متعددة ٣- متكاثرة ٤- متحركة

( )- "سوفسطائي" مأخوذة من لفظة "سوفيسطوس"، ومعناها معلم: ١- الطب ٢- البيان ٣- القتال ٤- البناء

( )- أصبحت السوفسطائية في عهد سقراط تعني تمويه: ١- الذهب ٢- الحقائق ٣- الفضة ٤- النحاس

( )- لم يكن للسوفسطائيين عناية بـ: ١- البلاغة ٢- الطبيعيات ٣- الجدل ٤- التاريخ

( )- اهتمت المدرسة الفلسفية المثالية بالبحث في نظرية: ١- الدين ٢- التطور ٣- المعرفة ٤- الحكم

( )- كانت الأخلاق محور الفلسفة وغايتها عند: ١- زينون ٢- بروتاغوراس ٣- غورغياس ٤- أبيقور

( )- الرواقيون ماديون، فكل معرفة عندهم: ١- غيبية ٢- روحية ٣- حسية ٤- نظرية

( )- يمكن تعريف الأفلاطونية المحدثة بأنها محاولة لوضع فلسفة: ١- دنيوية ٢- دينية ٣- مادية ٤- حسية

( )- أهم مبادئ الأفلاطونية المحدثة هي قولهم بنظرية: ١- الفيض ٢- النبوة ٣- التوحيد ٤- النسبية

( )- الفلسفة عند أفلاطون هي معرفة: ١- الجزئيات ٢- العموميات ٣- التفاصيل ٤- الكماليات

( )- الدستور العام للأخلاق عند أفلاطون هو التخلق بأخلاق: ١- النبي ٢- الإسلام ٣- الملَك ٤- الإله

( )- كان أرسطو: ١- مشركا يعبد الأوثان ٢- مؤمنا بالآخرة ٣- موحدا ٤- جاهلا بالطب

( )- لُقّب أرسطو وأتباعه بـ: ١- المشّائين ٢- الجلّاسين ٣- النوّامين ٤- المجانين

( )- الفكرة الرئيسة عند أرسطو هي فكرة: ١- التوحيد ٢- الوحي ٣- النبوة ٤- الهيولَى والصورة

( )- الله – تعالى – عند أرسطو لا يتعقّل أو يعتني إلا بـ: ١- ذاته ٢- خلقه ٣- ملائكته ٤- أنبيائه

( )- تتلخص آراء أفلوطين في واجب الوجود بأنه فقط: ١- عقل ٢- معقول ٣- خير ٤- شر

( )- كان الفارابي وابن سينا وابن رشد متعصبين لآراء: ١- المعتزلة ٢- أرسطو ٣- السلف ٤- الجهم

( )- في السياسة تأثر الفارابي بجمهورية: ١- أفلاطون ٢- جالينوس ٣- سقراط ٤- أبقراط

( )- ابن سينا وأبوه وأهل بيته ينتمون إلى الفرقة: ١- الخارجية ٢- السلفية ٣- الإسماعيلية ٤- الأشعرية

( )- الاتجاه السائد في فلسفة ابن سينا هو الفلسفة: ١- الصوفية ٢- المشّائية ٣- المادية ٤- الروحية

( )- يعتبر ابن سينا القولَ بتناسخ الأرواح قولا: ١- مقبولا ٢- ضروريا ٣- منكرا ٤- محتملا

( )- يرى ابن سينا أن وجود العالم لا يجوز أن يتأخر عن الله بـ: ١- الزمان ٢- الذات ٣- الشرف ٤- الطبع

( )- ذهب ابن سينا إلى أن الله – تعالى – يعلم الأشياء علما: ١- جزئيا ٢- حسيا ٣- ماديا ٤- كليا

( )- وقف ابن رشد من نظرية الفيض والصدور موقف: ١- الناقد ٢- المرحب ٣- المسلّم ٤- المتحير

( )- موقف المتكلمين من الفلسفة هو قبول فقط: ١- ما وافق أصولهم منها ٢- المنطق ٣- الطب ٤- الفلك

( )- رغم تكفير الغزالي الفلاسفةَ بثلاث مسائل فقد كان .... للمنطق: ١- معاديا ٢- ناقدا ٣- قابلا ٤- محقّرا

( )- وقف ابن حزم الظاهري من المنطق اليوناني موقف: ١- الرفض ٢- النقد ٣- القبول ٤- التكفير

( )- موقف السلف من الفلسفة اليونانية هو: ١- القبول المطلق ٢- الإنكار المطلق ٣- التفصيل ٤- السكوت

( )- إنما ذمّ السلفُ الفلسفةَ لأجل اشتمالها على: ١- العقليات ٢- المصطلحات ٣- المناظرات ٤- السفسطات

( )- مصدر التلقي عند غالبية الفلاسفة إنما هو: ١- الكشف ٢- الذوق ٣- الوجد ٤- العقل

( )- فسّر الفلاسفة الإسلاميون نظرية العقول عند اليونان بـ: ١- الجن ٢- الملائكة ٣- الأنبياء ٤- العلماء

( )- حديث "أول ما خلق الله العقل .." بإجماع المحدّثين: ١- صحيح ٢- لا أصل له ٣- متواتر ٤- حسن

( )- "الجمع بين رأي الحكيمين" للفارابي يوفّق بين أفلاطون و: ١- سقراط ٢- الإسلام ٣- أرسطو ٤- النبي

( )- ألف ابن ... رسالته "حي بن يقظان" للتوفيق بين الدين والفلسفة: ١- طفيل ٢- باجه ٣- سينا ٤- رشد

( )- زعم الفلاسفة أن الرسل قرّبوا الدين للناس على سبيل: ١- التصريح ٢- التوضيح ٣- التفهيم ٤- التخييل

( )- وفّقوا بين الدين والفلسفة لأجل ... كلام الفلاسفة في الإلهيات: ١- قلة ٢- كثرة ٣- صعوبة ٤- سهولة

( )- اليونان والرومان كانوا قبل ظهور المسيح: ١- موحدين ٢- ملحدين ٣- مشركين ٤- على الفطرة

( )- الفلسفة كما يزعم الفلاسفة هي ... بالإله على قدر الطاقة: ١- التعبد ٢- التشبه ٣- التحنث ٤- التعرف

( )- كلام متأخري الفلاسفة عن التوحيد أكثره في توحيد: ١- الألوهية ٢- الربوبية ٣- الأسماء ٤- الصفات

( )- أساطين الفلاسفة الأوائل كانوا .... وجود الخالق: ١- ينكرون ٢- يثبتون ٣- ينفون ٤- يتجاهلون

( )- سلك الفلاسفة الإسلاميون لإثبات الخالق طريقة: ١- الإمكان ٢- الحدوث ٣- الآيات ٤- القرآن

( )- أول من أُثِر عنه القول بقِدم العالم هو: ١- فيثاغورس ٢- أفلاطون ٣- سقراط ٤- أرسطو

( )- ما في الفلسفة من حجج صحيحة إنما يدل على مذهب: ١- السلف ٢- الخلف ٣- المتكلمين ٤- الجهمية

( )- ترجع نظرية الفيض والصدور في أصل نشأتها إلى: ١- أفلاطون ٢- أفلوطين ٣- الفارابي ٤- ابن رشد

( )- مذهب فلاسفة اليونان قبل أرسطو في الصفات الإلهية هو: ١- الإثبات ٢- التأويل ٣- النفي ٤- الإلحاد

( )- عامة فلاسفة اليونان قبل أرسطو كانوا .... وجود الجن: ١- ينكرون ٢- يثبتون ٣- يجهلون ٤- ينفون

( )- الجن عند ابن سينا: ١- أرواح منفصلة ٢- قوى نفسية خبيثة ٣- أحياء ناطقة ٤- كما عند السلف

( )- يعتقد الفلاسفة أن طريقة الأنبياء: ١- يقينية ٢- معصومة ٣- تخييلية ٤- لازمة لهم

( )- الوحي عند الفلاسفة عبارة عن ... عقلي: ١- فيض ٢- إحساس ٣- دليل ٤- تأمل

( )- النبوة والمعجزات برأي الفلاسفة مجرد آثار قوى وخصائص: ١- إلهية ٢- ملائكية ٣- حسية ٤- نفسية

( )- النبوة على مذهب الفلاسفة: ١- اصطفاء إلهي ٢- مكتسبة ٣- كالألوهية ٤- كالرسالة

( )- الفلاسفة المنتسبون للإسلام أنكروا البعث: ١- الروحاني ٢- الجسماني ٣- مطلقا ٤- النفساني

( )- زعم الفلاسفة أن أدلة البعث في القرآن خطاب لـ: ١- العامة ٢- الخاصة ٣- الفلاسفة ٤- خاصة الخاصة